المؤسسات العقابية

يقصد بالمؤسسات العقابية الاماكن التي تنفذ فيها العقوبات السالبة للحرية ، لان تنفيذ العقوبات الاخرى لا يحتاج الى محلات تعد خصيصاً لذلك .

ملاحظة : تطور المؤسسات العقابية للاطلاع

نظم المؤسسات العقابية

النظام الجمعي

يمثل هذا النظام الصورة التقليدية القديمة للسجون ، حيث يقوم على اساس الجمع او الاختلاط بين النزلاء الذين يعيشون ليلاً ونهاراً ، فينامون سوية في مبان كبيرة واحدة ويتناولون وجباتهم معاً في قاعة الطعام ويعملون جنباً الى جنب ويسمح لهم بالحديث فيما بينهم ، ومع ذلك فان جمع النزلاء بهذه الطريقة لا يمنع من الفصل بينهم وتقسيمهم الى طوائف بحسب حالة كل منهم كالفصل بين الرجال والنساء أو الفصل بين الكبار والاحداث .

وقد بقيت هذه الصورة التقليدية للسجون هي المطبقة حتى نهاية القرن الثامن عشر ، حيث كان السجن حتى ذلك التاريخ مجرد مكان للتحفظ على النزلاء او لمجرد ابعادهم عن المجتمع ، حينما كانت فلسفة العقاب تتركز في الردع والزجر .

مزيا النظام الجمعي

١. قلة التكاليف التي تتحملها السلطة العامة ، وقلة التكاليف هذه تبدو بوضوح سواء من حيث انشائه او ادارته .

٢. هذا النظام اقرب الى الطبيعة البشرية في الاختلاط والتقارب بينهم ، فانه يحفظ للمسجونين توازنهم البدني والنفسي .

٣. يكفل هذا النظام التنظيم الجيد للعمل العقابي .

٤. وفرة الايرادات المتحصلة في ظل هذا النظام نتيجة لوفرة اعداد العاملين وامكان تقسيم العمل حسب متطلبات العمل .

٥. يساعد هذا النظام على سهولة اندماج النزلاء بعد الافراج عنهم في الحياة المهنية .

عيوب النظام الجمعي

١. الاختلاط في حقيقته لا يساعد في اصلاح النزلاء ، بل العكس إذ يكون عاملاً من عوامل الخطر على هؤلاء النزلاء من خلال بوادر الفساد التي يعمل ذلك الاختلاط على خلقها او تنميتها لديهم وانتشار العادات السيئة والافعال اللاأخلاقية فيما بينهم وتأثر الطالح منهم على الصالح .

٢. كثيراً ما يكون هذا الاختلاط بين المسجونين بادرة لتكوين العصابات الاجرامية التي تخلق جواً معادياً لإدارة السجن ، وتعد العدة لتنفيذ مخططاتهم في الخارج ، حتى قيل بحق (ان النظام الجمعي يحيل السجن الى مدرسة للجريمة) .

النظام الانفرادي (البنسلفاني)

هذا النظام يقوم على اساس العزل التام بين النزلاء ليلاً ونهاراً ، فيستقل كل نزيل في غرفة منفردة خاصة به ولا يتصل بغيره من النزلاء ، بحيث يكون تصميم تلك الغرف على أساس انها مكاناً للنوم والأكل والعمل وتلقي الدروس الدينية والتهذيبية ، ويحتوي السجن القائم على هذا النظام على عدد من الزنزانات بعدد النزلاء فيه ، وعند اضطرار المسجون الى الخروج من زنزانته فيجب عليه ان يضع قناعاً على وجهه حتى لا يكون هنالك اختلاط بينه وبين زملائه ، النزيل يمنع من التدخين ويجوز للمعلمين والاداريين فقط الاتصال به .

مزايا النظام الانفرادي

١. يستبعد النظام الانفرادي تلك الاضرار الناجمة عن الاختلاط بالنزلاء وخاصة فيما يتعلق بتكوين العصابات الاجرامية مستقبلاً ، إذ ان المحكوم عليه لا يتصل في ظل هذا النظام الا بالمرشدين والمعلمين والموظفين الاداريين .

٢. يمنح هذا النظام للسجين فرصة للتأمل ومراجعة الذات والندم على الجريمة ، وهو هدف ينسجم ونشأة هذا النوع من السجون وهو هدف التوبة التي دعت اليها الكنيسة .

٣. لا شك في ان القسوة التي يعانيها النزيل في ظل هذا النظام قد تجدي نفعاً مع العتاة من المجرمين ، مما يجعل منه خير رادع لمعتادي الاجرام من المنحرفين .

٤. يسمح هذا النظام لكل نزيل بأن يكيف حياته داخل غرفته وفقاً لظروفه ومتطلباته الشخصية.

عيوب النظام الانفرادي

١. ارتفاع تكاليفه سواء من حيث الانشاء أو الادارة أو الاشراف ، فهو يتطلب توفير زنزانات بعدد نزلائه كما انه يتطلب توفير جهاز إداري رقابي على غرفة كل نزيل ، وهو امر غير يسير .

٢. هذا النظام يضع النزلاء في عزلة شبه تامة كونه يحرمهم من فرصة الالتقاء والتجمع الذي يعد من اهم سمات البشر ، لذا يؤدي هذا النظام الى اضطراب وخلل في التوازن البدني والنفسي للنزيل نتيجة ما يتيحه من امراض خطيرة كالجنون الذي قد يؤدي به وفي كثير من الاحيان الى الانتحار ، وهذه النتيجة تخالف هدف الاصلاح الذي من المفترض ان تقوم عليه عقوبة السجن .

٣. يتعذر تدريب النزلاء على الآلات الحديثة ، حيث يقتصر التدريب والعمل داخل السجن على الاعمال اليدوية البدائية .

النظام المختلط (الاوبراني)

هذا النظام يقوم على اساس المزج بين النظامين السابقين ، حيث يقسم اليوم الى قسمين ، النهار والليل ، حيث يطبق في النهار النظام الجمعي وفي الليل النظام الانفرادي ، في النهار يختلط النزيل بغيره من النزلاء وذلك اثناء الطعام والعمل وتلقي البرامج التأهيلية والدينية ، غير ان هذا الاختلاط كان مقيداً بصمت النزلاء ، بمعنى انه يفرض على النزلاء الصمت التام وعدم كلام النزيل مع زميله الآخر .

وقد تمادى مؤسسوا هذا النظام في بداية تطبيقه حيث حرموا على النزيل مجرد النظر الى زميله الآخر ، لذا كان على النزيل ان يسير مطأطأ الرأس لا يرفع بصره عن الارض في كل تلك الاوقات التي يكون فيها خارج زنزانته ، حيث كانت عقوبة الخروج عن هذا الصمت هي الجلد الشديد ، اما في الليل فقد كان على كل النزيل ان يقضي الوقت بمفرده في غرفته ولا يسمح له اطلاقاً الاختلاط بغيره من النزلاء .

مزايا النظام المختلط

١. يتميز هذا النظام بأنه يجمع بين مزايا النظامين السابقين (الجمعي والانفرادي) ويتجنب اغلب عيوبهما .

٢. يتميز النظام المختلط بقلة تكلفته لان الغرفة فيه ليست سوى مكاناً للنوم فقط ، ولا يتطلب توفير تجهيزات العمل بشكل منفرد لكل نزيل .

٣. يتفق هذا النظام مع الطبيعة البشرية لانه يُمَكن النزلاء من الاجتماع .

٤. إن فرض نظام الصمت وعزلهم ليلاً يمنع احتمال تأثير الطالح منهم على الصالح لعدم امكانية نقل الخبرات الاجرامية .

٥. سهولة تدريب النزلاء فضلاً عن عدم الحاجة الى عدد كبير من المدربين والمهذبين .

عيوب النظام المختلط

١. ان اقرار واجب الصمت على النزلاء ، يعد قيد صعب التنفيذ لانه يخالف الطبيعة البشرية المجبولة على الحديث كلما اجتمع الانسان بغيره وقد يؤدي الى الاضطراب النفسي عند النزلاء .

٢. من الصعب مراقبة واجب الصمت المفروض على النزلاء .

النظام التدريجي (الايرلندي)

هذا النظام يقوم على اساس الافراج عن المحكوم عليه مقابل تحسن سلوكه بشكل تدريجي وفقاً لمعايير معينة لهذا يسمى هذا النظام ايضاً (نظام الشرف) .

تقسيم مدة العقوبة السالبة للحرية الى عدة مراحل ينتقل المحكوم عليه من من احداها الى الاخرى (من المرحلة الاشد الى المرحلة الاخف) وفقاً لنظام معين يسمح للنزيل بالانتقال من الحبس الانفرادي الى الحرية الكاملة عن طريق نظام الافراج الشرطي مروراً بمراحل معينة تمهد لهذا الوسط الحر كالعمل الجماعي نهاراً والعزل ليلاً وما شابه . وهذ الانتقال من مرحلة لأخرى يتوقف مدى تحسن سلوك المحكوم عليه .

وقد ظهر هذا النظام لاول مرة في عام (١٨٤٠م) في احدى الجزر القريبة من استراليا والتابعة لإنجلترا وهي جزيرة (نورفولك)

مزايا النظام التدريجي

١. يعد هذا النظام افضل الانظمة السابقة ، بل ويفوق عليها لإحتوائه على برنامجلتأهيل المحكوم عليهم واصلاحهم .

٢. تحقيق هدف تهذيب المحكوم عليهم وتعويدهم على الطاعة والنظام دون أن يكون ذلك نتيجة اجبار او قسر .

٣. يتجنب هذا النظام الانتقال المفاجئ بالمحكوم عليهم من مرحلة لأخرى ، مما يجعل من هذا التدرج افضل وسيلة لتحقيق التهذيب والاصلاح .

عيوب النظام التدريجي

١. ان التدرج في تنفيذ العقوبة من التشديد الى التخفيف يقتضي حرمان المحكوم عليه في فترة التشديد من مزايا تقدم له في المرحلة اللاحقة كالسماح له بالزيارة وتبادل الرسائل .

٢. ضياع الاثار التهذيبية التي اكتسبها النزيل في مرحلة ما قبل الافراج ، فمثلاً اذا كان الصمت او العزل المفروضان على المحكوم عليهم غي المرحلة الاولى يحققان اثراً طيباً وهو عدم تأثر المحكوم عليهم المبتدئين بالمجرمين العائدين ، فان انتقال المحكوم عليهم الى المرحلى تالية أخف ، سوف تسمح لهم بتبادل بعض الاحاديث التي قد تضيع ذلك الاثر الايجابي الذي اكتسبه المحكوم عليه.

أنواع المؤسسات العقابية

أولاً : المؤسسات العقابية المغلقة

هذا النوع من المؤسسات العقابية يقوم على عدد من الخصائص ، اهمها أن مباني تلك المؤسسات بعيدة عن المدن وذات أسوار عالية بحيث يتعذر على المسجون اجتيازها فضلاً عن الحراسة المشددة وكذلك الحزم داخل تلك المؤسسات ، مع الصرامة في فرض الجزاءات التأديبية على من يحاول الهرب منها ، ويخضم المودعون بهذه المؤسسات لبرامج إصلاحية قائمة على القسر والإكراه مع اعتماد مبدأ الثواب والعقاب .

هذا النوع من المؤسسات يخصص لأولئك المجرمين الخطرين والمحكوم عليهم بالعقوبات السالبة للحرية لمدة طويلة كالمعتادين على الاجرام والعائدين اليه ، وهذا النوع من المؤسسات العقابية هو النموذج الذي اتخذته السجون في صورتها الأولى حينما كان المحكوم عليهم يودعون في الحصون والقلاع القديمة .

انتشار السجون المغلقة يعود الى سببين هما :

الأول : إن الفكرة السائدة لدى الرأي العام عن المذنبين بأنهم أشخاص يتعين عزلهم في مؤسسات خاصة بعيدة عن المجتمع .

الثاني : إن القائمين على الادارة العقابية في العديد من الدول ينتمون لهيئات عسكرية سواء كانوا من رجال الشرطة أو الجيش ، وإن تفكير هؤلاء يكاد ينحصر في معاملة النزلاء المذنبين وفقاً لإعتبارات الأمن والتحفظ بطريقة أسهل واضمن من الطريقة الأخرى .

مزايا المؤسسات العقابية المغلقة

يعد هذا النوع الأنجح والأنسب لأولئك المجرمين الخطرين ممن لا تكون شخصياتهم جديرة بالثقة إذ إن في عزلهم عن المجتمع الخارجي عن طريق هذه المؤسسات ذات الأسوار العالية والقضبان والأسلاك الشائكة ، نفعاً للمجتمع في الخلاص من شرهم وأذاهم .

كذلك يمثل هذا النظام إشعاراً للنزلاء الآخرين بأثر العقوبة وهيبتها مما يحقق حالة الردع بينهم والحيلولة بينهم وبين إرتكاب الجريمة مرة أخرى .

عيوب المؤسسات العقابية المغلقة

١. يعيب هذا النوع من المؤسسات إرتفاع التكاليف التي تتطلبها ضرورة إنشاء المباني العالية والحصينة وتوفير عدد الحراس المسلحين لحراسته وباقي المتطلبات الأخرى التي تتطلب توفيرها تكاليفاً باهضة .

٢. إن الافراط في قيود هذا النوع من المؤسسات من أسوار عالية وحراسة مشددة وعقوبات إنضباطية صارمة وعزل بين النزلاء ، أثر سلبي في نفس النزيل .

ثانياً : المؤسسات العقابية المفتوحة

تمثل السجون المفتوحة النظرة الحديثة الى المجرم الذي يجب أن ينظر اليه على شخص مريض اجتماعياً أو نفسياً أو اخلاقياً ومن ثم يجب ان يخضع للعلاج بدلاً من العزل عن المجتمع .

تتخذ هذه المؤسسات المفتوحة صورة مستعمرة تتكون من عدة مبان صغيرة لها نوافذ وأبواب عادية ونوافذ ليس فيها قضبان حديدية كتلك التي في المؤسسات المغلقة ، كما لا يحيط بهذه المباني أسواراً عالية ، وانما يكتفي غالباً بوضع معالم توضح حدودها كوضع سور خشبي صغير أو أسلاك شائكة ، وقد لا يقوم عليها حراس زان وجدو فهم غير مسلحين ، على ان يودع في هذه المؤسسة مبنى مشابه للمؤسسات المغلقة يودع فيه من يخضع للجزواء التأديبي (الانضباطي) في المؤسسة المفتوحة .

هذه المؤسسات غالباً ما تقع في المناطق الريفية لكي يتمكن النزلاء من القيام بأعمال الزراعة والصناعة المتصلة بها دون ان يمنع ذلك من إنشاء بعض الصناعات والحرف المستقلة عن الزراعة التي تساعد على تدريب كل من المحكوم عليهم على نوع العمل الذي يميل اليه ويطمح في مباشرته بعد خروجه من السجن، مع مراعاة أن تكون هذه المؤسسات قريبة من المدن ليتمكن الموظفين القائمين عليها من الحصول على متطلباتهم من جهة ولكي يتمكن النزلاء الانتقال الى تلك المدن في مزاولتهم لأعمالهم خارج المؤسسة العقابية .

هذا النوع من المؤسسات يعتمد على اقناع النزلاء بان الهرب في غير مصلحتهم وأن اساليب التهذيب والتأهيل هي من اجل صالحهم مما ينمي لديهم بذلك الشعور بالمسؤولية قبل مجتمع المؤسسة وازاء المجتمع الكبير ، ناهيك عما يقوم به هذا النظام من دعم للثقة المتبادلة بين النزيل وحراسه والقائمين على ادارة المؤسسة العقابية ، وقد اصبح لهذا النوع من المؤسسات التطبيقية واسعة في كثير من الولايات الامريكية وعدد من دول أوربا .

معيار إيداع النزلاء في هذه المؤسسات المفتوحة

لم تتفق الآراء حول المعيار المناسب الذي يتم بموجبه إيداع المحكوم عليهم في هذه المؤسسات العقابية المفتوحة

المعيار الزمني : يقضي بانتقال النزيل من المؤسسة المغلقة الى المؤسسة المفتوحة بعد هذه المدة .

المعيار المادي : يقوم على اساس طول المدة المحكوم بها ، فإذا كانت هذه المدة طويلة يودع المحكوم عليه في المؤسسة العقابية المغلقة وإذا كانت تلك المدة قصيرة فيودع في المؤسسة العقابية المفتوحة .

المعيار الشخصي : الفاصل في إيداع المحكوم عليه في المؤسسة المفتوحة هو السلوك الشخصي للمحكوم عليه فإذا تبين من خلال دراسة وملاحظة سلوكه وتاريخه الشخصي ، انه جدير بالثقة التي ستودع فيه وان لا خشية في إيداعه في المؤسسة المفتوحة أودع عند ذلك فيها . ولعل هذا المعيار هو الادنى الى الصواب من المعياريين السابقين .

مزايا المؤسسات العقابية المفتوحة

١. إنها ذات جو شبيه بجو المجتمع ، مما يجنب نزلائها الشعور بالإذلال والامتهان وغيرها من الحالات السلبية التي تحدث في المؤسسات المغلقة ، مما يحفظ للنزيل توازنه البدني والنفسي ، ومن ثم إمكانية تعايشه مع الآخرين بعد إنقضاء محكوميته .

٢. تعزيز الثقة بالنفس لدى النزيل ومساهمتها في انجاح برامج التأهيل من خلال خلق إرادة ذلك التأهيل لدى المحكوم عليه .

٣. يمكن للنزيل أن يتواصل مع أسرته ويعيلهم في ظل هذا النوع من المؤسسات .

٤. قلة التكاليف التي تتطلبها هذه المؤسسات فمبانيها بسيطة وحواجزها تكاد تكون معدومة وحراستها متواضعة .

عيوب المؤسسات العقابية المفتوحة

١. هذا النظام يساعد النزلاء على الهرب ، غير ان الرد على هذا الانتقاد ليس بالعسير بل ومبالغ فيه ، ويمكن الرد عليه بأن نسبة الذين هربوا في ظل هذا النظام ، ضئيلة جداً فضلاً عن أن إختيار النزلاء في هذا النظام لا يتم إلا بعد أن يخضع النزيل لفحص شامل لجوانب شخصيته بما يجعله جديراً بالثقة التي ستمنح له هذا النظام ، ويضاف الى ذلك ايضاً أن الهرب من السجن يشكل جريمة جديدة يعاقب عليها النزيل ، فضلاً عن عقوبته عن الجريمة التي إرتكبها ودخل بسببها لهذه المؤسسة .

٢. إنتقدت هذه المؤسسات بدعوى إنها تؤدي الى ضياع القيمة الرادعة للعقوبة .

ثالثاً : المؤسسات العقابية شبه المفتوحة

هذا النوع من المؤسسات يمثل مرحلة وسط بين النظامين السابقين فالعوائق المادية فيه أقل من السجون المغلقة والحراسة متوسطة والمحكوم عليه يتمتع بقدر من الحرية .

وفق هذا النظام يسمح للنزيل خرج المؤسسة العقابية وبدون رقابة مستمرة بأن يمارس عملاً معين أو الخضوع برنامج علاجي ، وبعد انتهاء وقت العمل أو التعليم أو التدريب أو العلاج ، يجب عليه العودة الى المؤسسة .

يتمتع النزيل في ظل هذا النظام بحرية شبه كاملة في الفترة التي يقضيها خارج أسوار السجن ، فلا يرتدي الملابس الخاصة بالمسجونين كما يمكنه من الاحتفاظ بالأموال التي تكفي

للطعام والتنقل ، كما يمكنه أيضاً من العمل لدى رب العمل بالشروط ذاتها التي يعمل بموجبها العامل الحر .

التزامات النزيل

١. عودته الى السجن في الوقت المحدد له .

٢. أن يكون تناوله للطعام بالقرب من مكان عمله .

٣. أن لا يستلم أجره بنفسه بل تستلمه إدارة المؤسسة العقابية .

٤. خضوع النزيل لنظام التأديب الخاص بالنزلاء .

٥. تقييد حركته خارج المؤسسة العقابية كمنعه من إرتياد أماكن اللهو وشرب الخمور وتعاطي المخدرات .

مزايا المؤسسات العقابية شبه المفتوحة

١. يتميز هذا النظام بقلة التكاليف التي يتطلبها .

٢. يتيح هذا النظام للنزيل حفظ التوازن البدني والنفسي والعقلي كونه يعمل في وسط قريب من الحياة العادية .

٣. يساعد هذا النظام على تأهيل النزلاء وإصلاحهم .

عيوب المؤسسات العقابية شبه المفتوحة

١. ليس من السهل إيجاد أرباب عمل يقبلون أن يعمل لديهم المسجونين .

٢. هذا النظام لا يحقق المساواة بين النزلاء ، إذ يستثنى منه الضعفاء والمرضى وغيرهم ممن لا يقدرون على العمل .

٣. إن اتاحة الفرصة للنزلاء للإتصال بالمجتمع خارج السجن قد يشوبه ويعيبه إن هذا الاتصال قد يكون ضاراً بهم ، لا سيما إذا اتصل هؤلاء النزلاء بزملائهم أيام إجرامهم بأشخاص غير اسوياء ينقلون لهم الخبرات الاجرامية ويثيرونها فيهم .